

بسم الله الرحمن الرحيم

## رياض الصالحين

شرح حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - "من يُرد الله به خيراً يُصِبْ منه" ١

الشيخ: خالد بن عثمان السبت

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، أما بعد:

فمن أحاديث الصبر ما رواه أبو هريرة - رضي الله تعالى عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: ((من يُرد الله به خيراً يُصِبْ منه))<sup>(١)</sup> رواه البخاري.

وبعضهم ضبطها يُصَبْ منه، ومعنى ذلك: أن من أراد الله - عز وجل - به خيراً في الدنيا وفي الآخرة برفع الدرجات، وحثّ الخطايا والسيئات، وتعظيم الأجور فإنه يرسل إليه ألوان المكاره، فيصِبْ منه في نفسه بالأوجاع والأمراض والهموم والأمور المؤلمة المتنوعة التي يسوقها الله - عز وجل - إليه مما يكدر خاطره. ولربما كان ذلك في ماله، ولربما كان ذلك في ولده، أو في من يحب، كل هذه الأمور يسوقها الله - عز وجل - للمؤمن ليكون ذلك خيراً له، وإذا استشعر المؤمن هذا المعنى - أن ذلك لإرادة الخير به - فإنه لا مجال للحزن والحسرات التي تنتاب الكثيرين على ما فاتهم من هذه الحياة الدنيا، وما يقع لهم فيها من الأمور المشوشة، ومن الأمور المؤلمة، فإن ذلك يكون خيراً لهم، فالله إنما أراد بهم خيراً، فساق إليهم هذه المزعجات من أجل أن يرفعهم، وأن يكفر عنهم، وأن يتخففوا من الأحمال والأثقال من الذنوب والآثام التي ترهق كواهلهم، إذا تدبر المؤمن هذا المعنى فإنه لا يمكن أن يصاب بأمراض العصر كالإكتئاب والقلق، وما أشبه ذلك مما يقع فيه الملايين من البشر، ولا يمكن أن تصفو الدنيا لأحد، انظروا إلى من ذلّلوها، وصارت سهلة ميسورة بما فاقوا به غيرهم في العالم الغربي من ألوان التسهيلات التي قربت لهم البعيد، وهونت عليهم العسير، ومع ذلك هم أكثر الناس قلقاً وحزناً واكتئاباً، وكثير منهم يفر من جحيمها إلى جحيم آخر لا يُقَادَر قدره، ينتحرون، يموتون من شدة ما يلاقون من اللوعة والألم والأكدار والأحزان، فلا يخلو أحد، وهي حياة قصيرة لا تستحق هذا كله، لا تستحق هذا القلق، والحزن، وإنما يسلي الإنسان نفسه فيها، فأمس يومٌ قد ذهب، واليوم ينبغي للإنسان أن يعمل فيه ويجتهد، والغد لا يدري هل يبلغ إلى الغد، أو لا يبلغه، وكم من أنفس تفتلت وتموت وتذهب قبل أن تبلغ الغد، فلا داعي للإنسان أن يقلق على أمور مستقبله من أمور معاشه، ولا داعي للقلق والحزن على أمور فاتت لا يمكن أن يردها الحزن والبكاء والنياحة والتفكير في ذلك الفائت الذي يجدد له حزنه مرة بعد مرة، هذا أمر لا طائل تحته، وإذا أردت أن تعتبر بحقيقتها وقيمتها الحقيقية انظر لما وقع لأولئك الذين خرج عليهم البحر فغمرهم بمياهه، ودمر كل شيء، إذا تذكرت صورتهم وهم يخرجون يفرّون بدراجاتهم وعلى أقدامهم، وهذه تنسى صغيرها فتذهب تبحث عنه، وهذا يحمل طفلته، وامرأة تجر صبيها وما إلى ذلك، وهم يصيحون ويصرخون ويضعون، ويلتفتون وراءهم ينظرون إلى الماء وهو يلاحقهم، ثم بعد مدة ترى كل شيء قد تساوى في الأرض، والجثث قد اختلطت بالحطام، هؤلاء حينما فروا

١ - أخرجه البخاري، كتاب المرضى، باب ما جاء في كفارة المرضى (٢١٣٨/٥)، رقم: (٥٣٢١).

لا يلوون على شيء من الدنيا لم يقفوا، ولم ينتظروا يبحثون عن التحف ويأخذونها معهم، إنما أرادوا الفرار بأرواحهم وأنفسهم، الإنسان ينسى أهله، وينسى كل شيء في سبيل أن ينجو، يذكرك ذلك باليوم الآخر حيث ينسى الإنسان نفسه، **{يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمَلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَىٰ وَمَا هُمْ بِسُكَارَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ}** [الحج: ٢] يخرجون من كل وجه، يسرون، يسرعون **{كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ \* خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ}** [المعارج: ٤٣-٤٤].

فعلى الإنسان أن يعتبر بهذه المعاني، ويتذكر عند كل مكروه يقع له أنه إذا أراد الله بعدد خيراً يصب منه، فيكون ذلك مسلاةً للنفس، يبعث فيها الطمأنينة والراحة، فلا يزعج الإنسان، ولا يبقى يقلب جنبه على فراشه من الهم يحرقه، ويقتله ويموت موتاً بطيئاً بسبب هذه الهموم والآلام.

من الناس من إذا تلمس نفسه ووسوست له نفسه أن ثمة علة في جنبه، أو في رأسه، أو في يده، أو نحو ذلك أخذته الأوهام من كل مكان، وجاءه ما قرب وما بعد من الأفكار، والخواطر السيئة، فبات مفكراً خائفاً منزعاً قلقاً، ولربما لم تحمله رجله إلى الطبيب، فإذا أخبر أنه ليس عليه بأس وليس به شيء قام وعاد إلى نشاطه، وقوته التي كان عليها، **{إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا \* إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا \* وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا \*}** **{إِنَّا الْمُصَلِّينَ}** [المعارج: ١٩ - ٢٢].

فنسأل الله -عز وجل- أن يجعلنا وإياكم منهم، وأن يشرح صدورنا بطاعته، وأن يعيننا على ذكره وشكره وحسن عبادته، وأن يرزقنا وإياكم الصبر والثبات في الأمر وفي أحوالنا كلها، وصلى الله على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه.